



## من فوائد حديث الافتراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فنظرا لما تعيشه الأمة من فتن واختلاف في حياة أفرادها وتشعب آرائهم وأهوائهم مما يسهم في تفرق جماعتهم وذهاب ريحهم وتسلب أعدائهم فيحسن بنا أن نقف لحظات للتدبر ونتلمس أهم الفوائد والتوجيهات الواردة في حديث الافتراق الذي حذر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أن نسلك مسالك الأمم السابقة في تفرقها واختلافها، ويّين سبيل النجاة لمن أرادها.

وهذه المقالة مستلّة من كتاب: (تعليقات على شرح شيخ الإسلام لحديث

الافتراق) للباحث.

وقبل سرد فوائد هذا الحديث العظيم لا بدّ من وقفة يسيرة معه لبيان رواته وألفاظه

ودرجته وأقوال أهل العلم فيه.



## من فوائد حديث الافتراق

أولاً: رواية الحديث ومن خرّجه.

الحديث رُوي عن خمسة عشر من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم أبو هريرة ومعاوية وعبدالله بن عمرو العاص وعمرو بن مالك وأبو أمامة وجابر وابن مسعود وغيرهم من الأئمة.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (١) وأخرجه أصحاب السنن، كما أشار المصنف رحمه الله، فأخرجه أبو داود (٢) والترمذي وصححه (٣) وابن ماجه (٤) وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه (٥) والحاكم في مستدركه (٦) وغيرهم من العلماء الذين يطول الكلام في الحديث عنهم.

ثانياً: درجة الحديث ومواقف العلماء من ذلك:

- (١) مسند أحمد 12208 (241 / 19).
- (٢) سنن أبي داود- كتاب السنة - باب شرح السنّة 4596 (4 / 198).
- (٣) سنن الترمذي- أبواب الإيمان- ما جاء في افتراق هذه الأمة 2640 (5 / 25).
- (٤) سنن ابن ماجه- كتاب الفتن- باب افتراق الأمم 3992 (2 / 1322).
- (٥) صحيح ابن حبان - كتاب بدء الخلق- ذكّر افتراق اليهود والنصارى فرقا مختلفا 6247 (14 / 140).
- (٦) المستدرک علی الصحیحین للحاكم 441- فصل: في توقيير العالم «هذه خبائر صحیحة في الأمر بتوقيير العالم عند الاختلاف إليه والفعود بين يديه بما لم يخرجاه» (1 / 217).



## من فوائد حديث الافتراق

هناك من ضعف الحديث ، وأول من عرف عنه أن ضعف الحديث، هو الإمام ابن حزم رحمه الله (٧) وهو عمدة من جاء من بعده ممن ضعفه.

والإمام ابن حزم رحمه الله تعالى لم يضعف الحديث من جهة إسناده ولكن من جهة متنه؛ حيث أشكل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (( كلها في النار إلا واحدة )) فقال: إن هذا يدل على هلاك الأمة.

وهذا في نظره يخالف النصوص الكثيرة التي بُيِّنَتْ فيها منزلة هذه الأمة وفضلها وكثرتها إلى غير ذلك من الأمور.

والصحيح أنه عند التدقيق يتبين أن ابن حزم - رحمه الله تعالى - لم يطعن في الحديث من حيث ثبوت أصله وإنما طعن في رواية: (( كلها في النار إلا واحدة )) والشبهة عنده ليست شبهة إسنادية إنما هي شبهة عقلية من حيث معنى هذا الحديث، ولو ظهر له المعنى الصحيح للحديث لارتفع عنه هذا الإشكال، هذا أول من عرف عنه أنه تكلم في ثبوت الحديث ، وجاء من بعده من اعتمد قول الإمام ابن حزم رحمه الله ومن أبرزهم الشوكاني ، وابن الوزير، اعتمدوا كلام ابن حزم في الطعن في الحديث، علما بأن ابن الوزير قد صحح رواية معاوية من هذا الحديث في كتاب آخر وفي مكان آخر وهو في كتابه: الروض الباسم (٨) ، والشوكاني طعن أيضا في لفظة: (( كلها في النار إلا واحدة )) تبعا لما تقدم من كلام ابن حزم.

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/138).

(٨) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - (2/528).



## من فوائد حديث الافتراق

وجاء المعاصرون وخاصة من لهم ميول عصرانية أو بدعية فطاروا فرحا بكلام ابن حزم وطعنوا في الحديث، ومن أبرزهم محمد زاهر الكوثري (٩) ومعروف توجهه وغرضه من الطعن في هذا الحديث، وكذلك من جاء من بعدهم كعبدالرحمن بدوي والقرضاوي وغيرهم من العلماء المعاصرين.

أما جماهير العلماء قديما وحديثا فهم على تصحيح أصل هذا الحديث، وإنما وقع الخلاف بينهم في بعض ألفاظه في وصف الفرقة الناحية، وهم بين مصحح ومحسن وابن تيمية رحمه الله تعالى، قد أشار إلى هذا في موضع آخر من كتابه منهاج السنة حيث قال: "مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين وقد ضعفه ابن حزم وغيره لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره وقد رواه أهل السنن وروى من طرق". (١٠)

وقد صحح هذا الحديث ثلثة من العلماء منهم ابن حبان ورواه في صحيحه (١١)، ومنهم الحاكم وقال: هذه أسانيد تقوم بها الحجة ووافقه الذهبي (١٢) ومنهم الزين العراقي (١٣) بل إن

(٩) مقدمات الإمام الكوثري (ص114)

(١٠) منهاج السنة النبوية (5/169).

(١١) صحيح ابن حبان - كتاب بدء الخلق - ذكُرُ افْتِرَاقُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِرْقًا مُخْتَلِفَةً (624/14/140).

(١٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم 441- فُصِّلَ: فِي تَوْقِيرِ الْعَالِمِ «هَذِهِ خُبْرٌ صَحِيحٌ فِي الْأَمْرِ بِتَوْقِيرِ الْعَالِمِ عِنْدَ

الِاخْتِلَافِ إِلَيْهِ وَالْمُعُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ مِمَّا لَمْ يُجْرَّجَاهُ» (1/217).

(١٣) فيض القدير (2/21).



## من فوائد حديث الافتراق

الإمام السيوطي عدّه من الأحاديث المتواترة لأنه روي عن خمسة عشر من الصحابة فهو من الأحاديث المتواترة". (١٤)

ومن المعاصرين الشيخ صالح المقبل صاحب كتاب: العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ. وقال: "رواياته كثيرة يشد بعضها بعضا بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها". (١٥)

ومن الأئمة المعاصرين الذين صححوا هذا الحديث شيخ المحدثين الشيخ الألباني قال: "فقد تبين بوضوح أن الحديث ثابت لا شك فيه". (١٦)

ولذلك تتابع العلماء خلفا عن سلف على الاحتجاج به، ومنهم الشيخ أحمد شاکر (١٧) والأرناؤوط (١٨) وغيرهم من المعاصرين.

**ثالثا: أما ألفاظه فالخلاف في شطره الأول يسير لا يغيّر المعنى، وإنما جاء الخلاف في شطره الثاني، وهو وصف الفرقة الناجية، وذلك ما أشار إليه الشارح رحمه الله، فذكر لفظين:**

١ - قالوا يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ قال: (( من كان على مثل ما أنا عليه

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشائخ (414).

(١٦) السلسلة الصحيحة (1/203).

(١٧) ينظر: مسند أحمد ت شاکر (8/301).

(١٨) ينظر: مسند أحمد - ت الأرناؤوط (19/241).



## من فوائد حديث الافتراق

(وأصحابي)).(١٩)

٢ - قالوا يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ قال: (( هي الجماعة، يد الله على الجماعة)).(٢٠)  
هذه خلاصة رواية هذا الحديث ومنزلته ومواقف العلماء منه .

---

(١٩) عند الترمذي، بلفظ [ما أنا عليه وأصحابي](4/323) والطبراني في الكبير، بلفظ: [مَنْ كَانَ عَلَيَّ مَا أَنَا عَلَيْهِ،

وأصحابي](8/152).

(٢٠) هذه الجملة لم أقف عليها بهذا الترتيب في أي من روايات الحديث، بل كل واحدة من العبارتين وردت في رواية مستقلة.



## من فوائد حديث الافتراق

## فوائد الحديث:

الأولى: أن هذا الحديث علامة من علامات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، وذلك من وجهين:

١ - أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن أمور مضت لا عهد له بها ولا يعرفها وهي كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

٢ - أنه أخبر عن أمور ستقع وقد وقعت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

فالحديث من علامات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في الإخبار عن افتراق اليهود وافتراق النصارى وافتراق هذه الأمة وقد حصل كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أشار إلى ذلك الإمام البخاري والبيهقي رحمهما الله تعالى.

الثانية: أن الافتراق واقع في هذه الأمة لا محالة، وهو حكم قدرى كما قال الله عز وجل: ( يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ الْأُمَّةَ الْفَاسِقَةَ إِنَّهَا كَانَتْ تُخَلِّفُونَ عَنْ وَرَثَتِكُمْ وَإِنَّهَا كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَهَا كَيْدٌ عَظِيمٌ ) [هود: 119].

فالله سبحانه وتعالى لحكمة يعلمها بين أن الاختلاف واقع في هذه الأمة، بل وفي الأمم الأخرى، فالافتراق ليس خاصا بهذه الأمة، وإنما هو في الأمم السابقة كما أخبر النبي عن افتراق اليهود والنصارى.

الثالثة: أن هذا وإن كان حكما قدريا وهو حصول الافتراق والاختلاف في الأمة إلا أن هذا لا يجوز الرضا به شرعاً بل هو خبر من النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود منه النهي عن



## من فوائد حديث الافتراق

الافتراق، فهو خبرُ الغرض منه النهي عن الافتراق فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: اختلفت اليهود وافترت اليهود والنصارى وتفرقت هذه الأمة؛ وهذا خبر من النبي صلى الله عليه وسلم والغرض من ذلك هو النهي عن الافتراق وعن الوقوع فيما حذر الله منه سبحانه وتعالى وحذر منه النبي صلى الله عليه وسلم.

والافتراق مذموم على لسان الشارع في القرآن والسنة وجاءت النصوص الكثيرة في التحذير من الافتراق ومنها على سبيل المثال: قول الله عز وجل: (وَأَنْ يَجْجِجَ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾) [الأنعام: 153] وهذه الآية هي آخر آيات الوصية التي قال عنها ابن مسعود رضي الله عنه: "من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ الآيات من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَٰئِكَ مِمَّنْ إِمْلَئْتُ مِنْ نَرَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي بِهَا يَبْلُغُ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا شَفِيفًا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنْ يَجْجِجَ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ



## من فوائد حديث الافتراق

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ ۖ تَرْتَقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام] (٢١) وهو نص صريح في النهي عن الاختلاف والافتراق (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ ۖ تَرْتَقُونَ ﴿١٥٣﴾) .

فوصية الله عز وجل لنا معاشر المسلمين ألا نتبع السبل المخالفة لسبيله فتتفرق عنه.

وقد أكد الله ذلك بعد هذه الآية بخمس آيات في السورة نفسها حين قال عز وجل: ( إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَصْنَافًا مِنْهُمُ اقْبَلُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَكُونُ الْكُلُوبُ حَبْلًا مَقْلُوبًا ) [الأنعام: 159]. ومن هذه النصوص قول الله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ

تَقَاتِهِ ۖ فَمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ثُمَّ مَنَّبَهَا كَذَلِكَ ك اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ كَا كَا ) [آل عمران: 103] فالآية صريحة في الأمر

بالاعتصام بحبل الله تعالى، والاعتصام افتعال من العصمة وهي المنعة، والعاصم المانع الحامي، قال تعالى: ( قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۗ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ) [هود: 43] والاعتصام الاستمسك بالشيء (٢٢) والمراد هنا

الاستمسك بالكتاب والسنة، كقوله تعالى: ( فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ

( ٢١ ) رواه الترمذي، وحسنه -سورة الأنعام 3070 (5 / 264) ، والطبراني في المعجم الكبير - 9917 (8 / 421) ، وقال الألباني: " ضعيف الإسناد " انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي 3070 (7 / 70).  
( ٢٢ ) النهاية في غريب الحديث والأثر (249/3) وينظر: المفردات، للراغب (ص337).

## من فوائد حديث الافتراق

مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ [الزُّخْرُفُ: 43]، ثم أكد ذلك بما يدلّ على عدم الافتراق بقوله (جميعاً)

فيجب على الجميع الاعتصام بحبل الله، ومن مقتضيات هذا عدم الافتراق.

وأكدّ أيضاً بمؤكد ثالث وهو قوله تعالى: (ولا تفرقوا) وهو أيضاً نص صريح في النهي عن الافتراق.

ويلاحظ في هذه الآية أنها بدأت بالأمر بالاعتصام، والأمر منوط بالاستطاعة؛ ولذلك قال

صلى الله عليه وسلم: (( إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم )) (٢٣) فقد يقول قائل: لا

نستطيع الاعتصام والأمر حسب الاستطاعة، فجاءت الآية حاسمة لهذه الشبهة بقوله

تعالى (ولا تفرقوا) فلا مجال لأحد أن يقول: لا نستطيع ألا نتفرق؛ لأن النهي غير مقرون

بالاستطاعة لقوله صلى الله عليه وسلم (( إذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه )) (٢٤).

كما أن هذه الآية وصفت الداء والدواء، فالداء الفرقة والاختلاف، والدواء الاعتصام

بالكتاب والسنة. (٢٥)

وقد وردت آيات كثيرة صريحة في النهي عن الافتراق.

(٢٣) رواه البخاري- كتاب الإعتصام- باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم 7288 (9/95) ومسلم- كتاب الفضائل- باب تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَكَ إِكْتِنَارَ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَخَوَّ ذَلِكُ 1337 (4/1830).

(٢٤) التخریج السابق.

(٢٥) منهاج أصول السنة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة، للباحث (ص52).



## من فوائد حديث الافتراق

ومن الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود في شرحه صلى الله عليه وسلم لهذه الآية (وأن هذا صراطي مستقيماً) قال: "خط لنا رسول الله خطأ ثم قال هذا سبيل الله، قال: ثم خط خطوطاً عن يمينه، قال: ((هذه السبل وعلى كل سبيل شيطان)). (٢٦) فحذر النبي من ذلك بالنص الصريح في هذا المعنى.

ومن الأحاديث أيضاً حديث العرباض بن سارية المشهور المعروف حينما قال فيه: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟" قال: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)). (٢٧) فقوله: من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً هو الشاهد وهذا أيضاً خبر من النبي صلى الله عليه وسلم والقصد التحذير والنهي وأكد ذلك بقوله: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين عضوا عليها بالنواجذ)) فهذا تأكيد على شدة الاستمساك والالتزام.. (عضوا عليها بالنواجذ) تأكيد للاستمساك، وبأكبر قدر ممكن، وهو أن يعض على ذلك بالنواجذ، ثم أكد بالنهي عما يضاده وما يُعد أكبر أسباب الافتراق وهي البدع والإحداث في الدين، فقال صلى الله عليه وسلم: ((وإياكم ومحدثات الأمور..)) ثم بيّن العلة في النهي عن ذلك فقال: ((فإنها ضلالة)).

(٢٦) رواه أحمد - 4142 (1 / 435) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

(٢٧) رواه ابن ماجه - بابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّدِينَ 42- (1 / 28). والحاكم في المستدرک 329 (1 / 95)



## من فوائد حديث الافتراق

وحديث حذيفة رضي الله عنه، وهو أيضا أصل وعمدة في الحديث عن الافتراق والاختلاف لما أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم عند ظهور الخلاف والافتراق فسأل حذيفة رضي الله عنه عن الشرّ وكان حريصا على معرفته لاتقائه مخافة أن يقع فيه، فيقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم)) قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: ((نعم، وفيه دخن)) قلت: وما دخنه؟ قال: ((قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)) قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها)) قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: ((هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا)) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ((فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)). (٢٨)

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدا لا يسع الوقت الكلام فيها .

ومن الآثار على سبيل المثال نأخذ أثرا واحدا وهو قول أبي العالية رحمه الله تعالى قال : " تعلموا القرآن فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه - أي تزهّدوا فيه وتركوه - وإياكم وهذه الأهواء - التي هي الفرق - فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء - وهذا من آثار الافتراق - وعليكم بالأمر

(٢٨) رواه البخاري- المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام. 3606 (4 / 242) ومسلم. كتاب الإمارة- باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر. 4890 (6 / 20).



## من فوائد حديث الافتراق

الأول الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا". (٢٩) فعند افتراق الناس واختلافهم عليك أن تنظر إلى الذين لم يتفرقوا، الذين سلموا من هذه اللوثات الفكرية والأهواء والبدع، فالرجوع إلى الأمر الأول وهو ما عليه الجماعة قبل أن يتفرقوا، وهو طريق السلامة وهو الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم ووصف به الفرقة الناجية لما ذكر هذه الفرق المختلفة.

**الرابعة:** أن الاختلاف ليس خاصا بهذه الأمة، ولذلك أخبر صلى الله عليه وسلم عن افتراق طائفتين من الأمم السابقة، وهما اليهود والنصارى، وذكر الله تعالى ذلك عن المشركين فقال عز وجل: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) ﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ يَ شَيْعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢) [الروم: 31-32] بل قد بين الله تعالى أن هذا الاختلاف قديم في البشرية فقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ النَّاسَ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ﴾ (البقرة: 213).

**الخامسة:** وفيه من الفوائد أيضا النهي عن الافتراق بالنهي عن مشابهة اليهود والنصارى وقد افترقوا، فدلّ الحديث على أن الافتراق فيه مشابهة لليهود والنصارى، وقد أمرنا ألاّ نشابه اليهود والنصارى، فدلّ ذلك على النهي عن الافتراق لما فيه من المشابهة المنهي عنها.

(٢٩) ذم الكلام وأهله (3/202).



## من فوائد حديث الافتراق

**السادسة:** عدم الاهتمام بكثرة أهل الباطل وقلة سالكي طريق الحق والوحشة وضيق الصدر من ذلك، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن هذه الأمة قد تفترق أكثر من افتراق اليهود والنصارى والناجية واحدة فلا يستوحش المسلم قلة السالكين.

وهذه قضية في غاية الأهمية لأن الإنسان إذا رأى كثرة الاختلاف والافتراق والتنازع والتناحر والبغضاء يصاب بنوع من الوحشة وبنوع من الإحباط وإن كان الاحباط لا ينبغي أن يكون له سبيل إلى قلب المسلم الذي يعرف ربه على الحقيقة ويحسن الظن بربه سبحانه وتعالى فهنا فيه تنبيه على أن الإنسان لا يستوحش قلة السالكين فالناجية واحدة من ثلاث وسبعين فرقة.

**السابعة:** أن الحق واحد لا يتعدد، وهذا رد على من يقولون بنسبية الحق، فيقولون: كيف تحتكرون الحق لكم وتزعمون أن غيركم ليس عندهم حق وأنهم على ضلالة؟ ف الحق نسبي فأنت ترى ما أنت عليه هو الحق وغيرك يرى أن ما هو عليه هو الحق.. وهكذا.

يدل على بطلان ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذه الفرق وكلها من هذه الأمة، من أهل القبلة يعني من المنتسبين للإسلام وليسوا من الخارجين عنه كلها متوعدة بالنار والناجية واحدة فقط، فدل ذلك على أن الحق واحد لا يتعدد وماذا بعد الحق إلا الضلال.

**الثامنة:** أن هذه الفرق كلها من هذه الملة، فهي فرق إسلامية، وكلهم من أهل الملة وأهل القبلة، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((وتفترق هذه الأمة)) وعليه، فلا تدخل فيهم الفرق المنتسبة للإسلام وهي قد خرجت منه، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.



## من فوائد حديث الافتراق

التاسعة: الحرص على معرفة سمات وخصائص الفرقة الناجية للتشبهت بها، ولذلك جاء في هذا الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسألوا عن مسالك هؤلاء الزائغين والهلكى إنما سألوا عن الناجية، وهذا يدل على ضرورة أن الإنسان يسأل ويبحث ويتشبهت بسمات وخصائص وصفات الفرقة الناجية ليسلك سبيلهم لعل الله أن يحشره في زمرةهم وهذه قضية مهمة جدا في فقه هذا الحديث.

العاشرة: أيضا هناك فائدة أخرى مهمة جدا وهي: أن الأصل في المسلم هو الستر عليه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين أسماء الفرق الهالكة ولم يسأل عنها الصحابة رضوان الله عليهم، فالصحابه إنما سألوا عن الناجية فقط، فالأصل هو الستر على المسلم المخطئ المخالف، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما بال أقوام..)). (٣٠)

وهذه المسألة فيها تفصيل، فهناك قد يحتاج إلى بيان سبيل المجرمين للحذر منه وللتحذير منه إذا كان ضرره متعديا إلى غيره ويشكل خطرا على الآخرين، ففيها تفصيل سيأتي الكلام عليه، لكن الأصل هو الستر على المسلم، ومن اللطائف أن حديث الرجلين الذين يعذبان في قبريهما (٣١) قد تعمد الرواة عدم ذكرهما من باب الستر عليهما، ولأن الأصل في مثل هذا عدم الفضيحة وهذا منهج شرعي سني سلفي يجب أن يسلك.

(٣٠) أي: ما حالهم وشأنهم. وقد وردت هذه العبارة في أحاديث كثيرة منها ما هو في الصحيحين.

(٣١) رواه البخاري- كتاب الوضوء- باب ما جاء في غسل البول (54/1)218 ومسلم- كتاب الطهارة- باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه. (240/1)292.



## من فوائد حديث الافتراق

وكذلك الرجل الأنصاري الذي تحاصم مع الزبير في شراج الماء واعترض على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إنه ابن عمك" (٣٢) لما حكم له صلى الله عليه وسلم، وهو من الأنصار ومن الصحابة رضوان الله عليهم ولم يذكر اسمه، لأن هذا من باب الستر، والأصل الستر على المخطئ.

نعم، تُبين المخالفة ويبيّن الخطأ ويحذر منه، أما الأسماء والأشخاص فالأصل فيها الستر إلا إذا كانت المصلحة تقتضي إشهاره والإعلان باسمه فهذا راجع إلى المصلحة الشرعية إذا كان ضرره متعدّياً، كما سبق.

الحادية عشرة: الحرص على مفارقة المذاهب الباطلة، والحذر من الانتساب إليها أو تزيين باطلها

كما قال عز وجل: (وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ [الأنعام: 55])

ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه يسأل عن الشر مخافة أن يدركه ومخافة أن يقع فيه، فلا بأس أن يعرف الإنسان مسالك الزائعين، وأسباب هذه المسالك وخطورة ذلك بضوابط معينة، سيأتي الكلام عليها في حينه إن شاء الله.

الثانية عشرة: بذل الجهد واستفراغ الوسع في دعوة الناس إلى نبذ الفرقة ومجانبة أسبابها، فإمام

أن الفرقة شر وعذاب، وحذر الله عز وجل منها في القرآن، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم

منها فإنه يجب أن يكون من أولويات طلبه العلم والدعاة والناصحين والمصلحين هو دعوة

(٣٢) رواه البخاري- كتاب الصلح- باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى، حكم عليه بالحكم البين 2708 (3/187) ومسلم-

كتاب الفضائل- بابٌ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (4/1829).



## من فوائد حديث الافتراق

الناس إلى نبذ الفرقة، وكل الأسباب التي تؤدي إليها، وإلى الاختلاف والشحناء والتباغض بين المسلمين.

**الثالثة عشرة:** الحرص على اجتماع كلمة المسلمين وعلى جماعتهم وهذا مأخوذ من أوصاف الفرقة الناجية حينما قال: ((الجماعة)) وحث عليها النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا يدل على الحرص على اجتماع الكلمة؛ لأن الجماعة ضد الفرقة، وأهل السنة والجماعة إنما سُموا أهل السنة مقابل أهل البدعة، والجماعة مقابل أهل الفرقة والاختلاف، فالجماعة هدف ومقصد شرعي لأهل السنة والجماعة، اجتماع القلوب واجتماع الصف واجتماع الكلمة واجتماع الأمة على الحق وهذا مما دل عليه هذا الحديث الشريف .

**الرابعة عشرة:** معرفة الميزان الدقيق الذي توزن به هذه الفرق من حيث الجملة ومن حيث الأفراد، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما بين هلاك أكثر الأمة ونجاة الفرقة الناجية لم يسمّها عليه الصلاة والسلام إنما هدانا إلى ميزان دقيق لا يتغير ولا يتبدل، نزن به الجماعات والأفراد في كل زمان ومكان وهذا الميزان يصلح في كل زمان ومكان وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (( من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)) فالفرقة الناجية هي من كان على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فمن اجتهد في التأسّي بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العقيدة وفي مصدر التلقي وفي منهج الاستدلال وفي العبادة وفي الأخلاق وفي السلوك وفي جميع النواحي فهو من الفرقة الناجية، وبقدر مخالفته لمخالفته للفرقة الناجية .



## من فوائد حديث الافتراق

الخامسة عشرة: أن حكم المنتسبين إلى هذه الفرق الثلاث والسبعين أو الثنتين - على قول الجمهور - هو حكم مرتكب الكبيرة وهو أنهم تحت المشيئة لأنهم جميعا من أهل القبلة - كما تقدم - وليسوا خارجين من دائرة الإسلام ومن كان خارجا من دائرة الإسلام فلا يعد من الثلاث والسبعين فرقة، كما أخرج العلماء الجهمية من الفرق على اختلاف أهل العلم في هذه المسألة لكن الراجح أن المقصود بالثنتين وسبعين فرقة هذه الفرق من أمة الإجابة التي أجابت النبي صلى الله عليه وسلم فهم من المسلمين وهم من أهل القبلة وحكمهم حكم مرتكب الكبيرة فهم تحت المشيئة إن شاء عاقبهم الله عز وجل بما أحدثوه من بدع ثم يخرجهم من النار، وإن شاء عفا عنهم سبحانه بأي وسيلة من وسائل العفو المعروفة من الشفاعة وغيرها من موانع إنفاذ العذاب الوسائل وهذا يبين أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((كلها في النار إلا واحدة)) أنها متوعدة بالنار ومستحقة لدخولها لا الخلود فيها، مع أنها قد لا تدخل لوجود موانع إنفاذ الوعيد في أفرادها، وهذه مثل تواعد الله آكل الربا والقاتل وغيرهما من أصحاب الكبائر باللعن والنار مع أن ذلك لا يعني ذلك الدخول فضلا عن الخلو في النار.

وهذا هو الذي أشكل على ابن حزم فضعف الحديث لأجل هذا اللفظ لأنه فهم منه أنها كلها في النار يعني أنها مخلدة في النار وهذا ليس بصحيح، ويوضحه ما يلي:

السادسة عشرة: أن هذا الحديث من أحاديث الوعيد وهي تابعة للنقطة التي قبلها، والقاعدة في نصوص الوعيد أنها تمر كما جاءت ولا يتعرض لمعناها، بل يقال: هكذا قال الله وقال رسوله



## من فوائد حديث الافتراق

ونسكت، وهذا مذهب كثير من السلف، كما لك وغيره، وهذا أبلغ في الزجر، لأن تأويلها يبطل مفادها من وقوع الزجر في النفوس. (٣٣)

السابعة عشرة: البشارة ببقاء هذه الفرقة الناجية إلى قيام الساعة وهذه بشارة عظيمة، الإنسان قد يصيبه شيء من الهمّ والغمّ لما يرى من كثرة الباطل لكن النبي صلى الله عليه وسلم بشر في الحديث الآخر الذي ذكر فيه بعض خصال الفرقة الناجية فقال: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)). (٣٤)

فهذه بشارة من النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرقة الناجية الطائفة المنصورة هي باقية إلى قيام الساعة، وأن الناس بين مخالف ومخذّل ولكن تلك المخالفة وذلك التخذيل لن يضرهم بشيء؛ وعليه فلا يبقى على المسلم إلا البحث عنهم وعن سماتهم وخصائصهم لينضم إلى جماعتهم وسوادهم ليحشر في زمرةهم، والله المستعان.

هذه بعض الفوائد المستنبطة من هذا الحديث العظيم.

(٣٣) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص: 271).

(٣٤) رواه صحيح البخاري- كتاب الاعتصام- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم "7311(9/101) ومسلم [واللفظ له]- كتاب الإمارة- باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» 1920 (3/1523).

